الاتِّصال ... التغيير

لقد وُفّقنا هذه السنة في اختيار شعار المدرسة: "الاتّصال لا الانعزال"، وذلك لأنّ مصر شهدت، عبر مجال الاتّصالات، حدثًا عظيمًا !

نعلم جميعًا أنّ ثورة الخامس والعشرين من يناير قامت لأنّ الشباب، وقد اشتهر صيتهم، استخدم استخدامًا حسنًا "الفيس بوك". لقد تعلّم هؤلاء الشباب كيفيّة استخدام وسائل الاتّصال في تنسيق أعمالهم. لَمَا كان في استطاعتهم القيام بهذا العمل العظيم لو لم يُخرجوا أنفسهم من الانعزال.

وقد استشعرت الحكومة خطرًا حقيقيًّا ينجم عن وسائل الاتّصالات كالإنترنت والهواتف المحمولة، ما دفعها إلى حظرها فترة من الوقت.

في ما يكمن ذلك الخطر؟

لقد اعتبره بعض الناس نقمة، وبعضهم نعمة، مَثله مَثل انقطاع التيار الكهربائيّ عند اقتراب عاصفة رعديّة: فوجود كهرباء في الغلاف الجوّيّ يُعَدُّ خطرًا، لذا فمن الأفضل قطع التيّار، تحاشيًا لحدوث كارثة.

يطرح علينا ذلك سؤالَ حُسن استخدام وسائل الاتّصالات، ويدعونا إلى التفكير في الوسائل المستخدَمة، تأثيرًا منّا في الآخرين.

إنّ الأسابيع والشهور التي نعيشها منذ الخامس والعشرين من يناير تُعبّر عن المراحل التي نمرّ بها في حياتنا:

١ - في البداية، كان هناك نوع من النشوة عندما سقطت الحواجز بين مُختلف قطاعات المجتمع، فعاش الناس تضامنًا مُميّزًا، وبدأت جميع الخلافات تختفي، وبدأ جليًّا الأمل في مستقبل مُشرق.

٢ - في الخطوة التالية، اشتدّت صدمة المُعارضَة ولم تكن في الحسبان. فوجد الشعب نفسه غارقًا في القلق والخوف لظهور تهديدات من قِبَل بعض القطاعات، فتدهورت الأوضاع واظلمّت السماء الزرقاء مُختفية وراء الغُيوم، حتّى سادها الحزن.

٣ - ثم وجدنا أنّ حقيقة ما عشناه بدا كهُوّة عميقة تبتلعنا. فأدركنا أنّ المجتمع الذي نعيش فيه كان مليئًا بالظلم، كما أنّ الاستغلال والعنف والفساد أصبحت وحوشًا يجب تدميرها. فتساءلنا كيف نجونا من كلّ ذلك؟ لقد أسدل علينا ستارٌ كثيف منعنا من النظر إلى الواقع واكتشاف جانبه السلبيّ.

٤ - ومنذ ذلك الوقت، غزت الساحةَ اتّهاماتٌ ضدّ المسئولين، ومطالبُ شخصية. أردنا أن نُشير بأصابع الاتّهام إلى الأشخاص الذين أفسدوا حياتنا وحرمونا من الحرّيّة الحقيقيّة. ومن هنا اقتحمت قلوبَنا إداناتٌ وإهاناتٌ وكراهية. هل ظننّا أنّ تلك هي الطريقة لإصلاح مجتمعنا؟

٥ - المرحلة الرابعة وكبَتُها المرحلةُ الخامسة: إنّ التيّار القويّ والإيجابيّ لم يختفِ تمامًا. رغم كل ما حدث، فإنه اختفى أو احتجب مؤقتًا، في نظر بعضهم، ولكن اكتشفه بسهولة الذين ملأت قلوبَهم رغبةٌ دفينةٌ في التغيير.

Mot du Père Recteur

شعر الجميع بدعوة إلى التغيير، ونحن نعيش مواقف جديدة كلّ يوم. ولكن الخطر يكمن في سوء فهم معنى التغيير وطريقة استخدام الاتّصالات لتحقيقه. فهل يقوم ذلك التغيير أوّلًا على إدانة المُذنبين؟ هل يقوم على السعي وراء مطالبنا والتشبّث بحقوقنا؟ أم أنّه يدفعنا بالأحرى إلى العمل على ترابط مُجتمع أضعفته الانشقاقات؟ وعلى مُضاعفة الجُهود لزيادة الإنتاج من أجل رفاهية الجميع؟

كثيرًا ما نسمع في الأخبار أنّ رؤساء بعض الدول المتقدّمة يُطالبون المواطنين بالقيام ببعض التضحيات حتى يستطيعوا حلّ المشكلات التي تواجهها. يشير ذلك إلى أنّ هناك اختيارات لمواصلة التغيير، إذ لا يتحقّق هذا التغيير بإرغام الآخرين عليه، سواء بالنصائح أو بالتهديدات. ينبغي بالأحرى أن يسعى كلّ منّا إلى اكتساب روح الغيريّة، حتى لا تكون طموحاتنا أنانيّة بحته.

ففي سبيل تغيير الوضع من حولي، عليّ أن أشرع في تغيير ذاتي: عاداتي، طريقة تفكيري، نظرتي إلى الآخرين، إخوتي.

كثيرًا ما نمرّ بهذه المراحل الخمس، لاسيّما في الحياة المدرسيّة. فتبدأ السنة الدراسيّة بحماسة وتوقّعات، عيش رغيد مع الزملاء الجدد والأساتذة. غير أنّه سرعان ما تنشأ خلافات: فهذا التلميذ مُزعج، وذلك المدرّس مُتطلّب للغاية،... ما يُشعرني بالضيق ويؤدّي بي إلى الخوف من الفشل. فأشكو من أمري إلى أهلي، ذلك بأنّ الفصل، بل والمدرسة كلّها تصبح لي لا تُطاق. والتلاميذ الأقوياء يهزمونني، والمدرّس يُعاقبني ولا يهتمّ بي. وفي نهاية المطاف، يخال لي أنّ طوق النجاة يكمن في اتّهام الآخرين أو هزمهم. ولكن ... في يوم من الأيّام، أدرك أنّ نيّتي السيّئة لا تُغيّر الأوضاع، وأنّ توقّعي أن يتغيّر الآخرون لا يسفر عنه تغييرُهم. أمّا الحلّ الجازم فهو: عليّ أن أتغيّر أنا. ويتحقّق ذلك باكتشاف وسائل جديدة للاتّصال بالآخرين. وبقصير العبارة: سرُّ نجاح حياتي مع الآخرين هو في أن أكون إيجابيًّا.

الأب يوسف ميتري اليسوعيّ

مدير المدارس